EDC
لجنة الدعوة الإلكترونية
E-Da'wah Committee
www.edc.org.kw
جمعية النجاة الخيرية

من هو يسوع (عيسى) على لسان يسوع؟

إعداد: لجنة الدعوة الإلكترونية

من هو يسوع (عيسى) على لسان يسوع؟

إعداد

لجنة الدعوة الإلكترونية

www.edc.org.kw

http://ar.islamforchristians.com

© جميع الحقوق محفوظة، ٢٠١٥. لجنة الدعوة الإلكترونية

لإرسال تعليقاتكم، راسلونا على هذا البريد الإلكتروني:

info@ar.islamforchristians.com

محتويات الكتاب

مقدمة ٣

هل يسوع نور العالم؟ ٤

هل يسوع الألف والياء والبداية والنهاية والأول والآخر؟ ٨

هل يسوع هو الحياة أو الواهب للحياة؟ ١٣

هل يسوع هو الطريق والحق؟ ١٦

هل يسوع هو المخلص؟ ٢٠

هل يسوع كلمة الله؟ ٢٥

هل يسوع عبد الله؟ ٣١

هل يسوع نبي الله أو رسول الله؟ ٣٥

هل يسوع في الله والله في يسوع؟ ٤٠

هل يسوع والله واحد؟ ٤٣

هل يسوع ابن الله؟ ٤٧

مقدمة

تتعدد الأقوال في يسوع (عيسى) عليه السلام، فحقيقته تعتبر من أكثر المواد إثارة للاختلاف والجدل بين أرباب الديانات المختلفة. فمنهم من قال أنه الله ومنهم من قال أنه ابن الله ومنهم من قال أنه نبي ومنهم من قال أنه ليس بإله ولا بنبي بل وليس مسيحًا أصلا.

لننح هذه الأقوال جانبًا ونستمع إلى يسوع نفسه ونعلم منه من هو وفقًا لما ورد في العهد الجديد مع الاستشهاد بالعهد القديم وأحيانًا بالقرآن الكريم. ولنفترض صحة نسبة جميع ما ورد بالعهد الجديد والعهد القديم إلى الله تعالى ولنناقش ما قاله يسوع عن نفسه ونرد متشابه الكتاب المقدس إلى محكمه إن صح التعبير.

هل يسوع نور العالم؟

تتعدد أوصاف يسوع في العهد الجديد. ومما وصف به يسوع روايةً عنه هو (أنه نور العالم)، فنقرأ في العهد الجديد" :كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ .كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ". (يوحنا ١ :٦-٩)

كما نقرأ: "ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلاً:' أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ"'. (يوحنا 12:8)

كما نقرأ أيضا: "أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ". (يوحنا ١٢:٤٦)

ونقرأ أيضا ما يلي: "هُوَذَا أَنْتَ تُسَمَّى يَهُودِيًّا، وَتَتَّكِلُ عَلَى النَّامُوسِ، وَتَفْتَخِرُ بِاللهِ، وَتَعْرِفُ مَشِيئَتَهُ، وَتُمَيِّزُ الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، مُتَعَلِّمًا مِنَ النَّامُوسِ. وَتَثِقُ أَنَّكَ قَائِدٌ لِلْعُمْيَانِ، وَنُورٌ لِلَّذِينَ فِي الظُّلْمَةِ" (رومية ٢ :١٧-١٩)

ولكن ما المقصود بوصف يسوع بنور العالم؟ وهل هذا الوصف على حقيقته أم على سبيل المجاز؟

بادئ ذي بدء، لا شك في أن الله تعالى وحده هو نور العالم الحقيقي وهو مصدره ومانحه لغيره من مخلوقاته تعالى بما فيهم يسوع نفسه. وذلك ثابت بنص العهد الجديد نفسه وعلى لسان يسوع وحوارييه.

فنحن نقرأ ما يلي في العهد الجديد" :وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ :إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا :إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ". (١ يوحنا ١ :٥-٦)

ويؤكد العهد القديم أن الله تعالى وليس غيره هو من صور النور وخلق الظلمة. فنقرأ في العهد القديم: "لِكَيْ يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ". (إشعياء ٤٥ :٦-٧)

ونقرأ أيضا: "أَنْتَ فَجَّرْتَ عَيْنًا وَسَيْلاً. أَنْتَ يَبَّسْتَ أَنْهَارًا دَائِمَةَ الْجَرَيَانِ. لَكَ النَّهَارُ، وَلَكَ أَيْضًا اللَّيْلُ. أَنْتَ هَيَّأْتَ النُّورَ وَالشَّمْسَ". (مزمور ٧٤ :١٥-١٦)

كما نقرأ أيضا في العهد القديم" :اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟" (مزمور ٢٧ :١)

كما يعلمنا العهد الجديد أن الله تعالى له نور لا يستطيع أحد من خلقه الدنو منه. فنحن نقرأ: "أَنْ تَحْفَظَ الْوَصِيَّةَ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ لَوْمٍ إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ". (١ تيموثاوس ٦ :١٤-١٦)

كما يخبرنا العهد الجديد أن الله تعالى هو الذي ينير ويُضيء الأشياء على سبيل الحقيقة ويسوع المشار إليه بالخروف ما هو إلا سبب في هذا النور وسراجه الذي يستمد هذا النور من الله. فنقرأ" :وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا. وَتَمْشِي شُعُوبُ الْمُخَلَّصِينَ بِنُورِهَا، وَمُلُوكُ الأَرْضِ يَجِيئُونَ بِمَجْدِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ إِلَيْهَا". (رؤيا يوحنا 21: 23-24)

كما نقرأ أيضا: "وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ". (رؤيا يوحنا ٢٢:٥).

ويوضح يسوع نفسه لحواريه أن الله تعالى هو الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور. فنقرأ في العهد الجديد: "فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءَهُمْ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً، وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ". (أفسس ٥ :٧–٨).

ويؤكد العهد القديم أن نور الله هو الذي يهدي إلى الحق. فنقرأ فيه: "اِقْضِ لِي يَا اَللهُ، وَخَاصِمْ مُخَاصَمَتِي مَعَ أُمَّةٍ غَيْرِ رَاحِمَةٍ، وَمِنْ إِنْسَانِ غِشٍّ وَظُلْمٍ نَجِّنِي. لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهُ حِصْنِي. لِمَاذَا رَفَضْتَنِي؟ لِمَاذَا أَتَمَشَّى حَزِينًا مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟ أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ". (مزمور ٤٣ :١–٣).

ويبين العهد الجديد أن يسوع ليس له نور ذاتي وإنما الله تعالى هو من أقامه نورًا للأمم. فنقرأ: "لأَنْ هكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ: قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ". (أعمال الرسل ١٣:٤٧).

وليس أدل على كون يسوع نورًا مجازيا وليس حقيقيًا؛ من كونه نورًا مؤقتًا للعالم لا يوجد إلا حال حياته فقط. فينقل العهد الجديد عن يسوع قوله: "مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ". (يوحنا ٩:٥).

كما نقرأ أيضًا: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: النُّورُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ. تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ". (يوحنا ١٢ :٣٥–٣٦).

ومعنى كون يسوع نورًا وفقا لما ورد في العهد الجديد أنه جاء اليهود بالنور والهداية من عند الله تعالى. فنحن نقرأ: "إِنْ يُؤَلَّمِ الْمَسِيحُ، يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ، مُزْمِعًا أَنْ يُنَادِيَ بِنُورٍ لِلشَّعْبِ وَلِلأُمَمِ" (أعمال الرسل ٢٦:٢٣).

وبهذا المعنى، يستوي يسوع مع غيره من البشر. فلقد وصف يسوع حواريه بأنهم نور العالم أيضًا لأنهم كان المفترض فيهم عمل الصالحات والإصلاح في الأرض وعدم الإفساد. ولذلك ذكر يسوع أيضًا أنهم سيكون لهم نور يضيء أمام الناس.

فنحن نقرأ: "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ .أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٥ :١٣-١٦).

كما وصف يسوع حواريه بأنه أبناء نور فقال: "جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ". (تسالونيكي ٥:٥).

ومن ثَم، ليس يسوع نور العالم على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز ويشترك معه في هذا الوصف غيره من البشر.

هل يسوع الألف والياء والبداية والنهاية والأول والآخر؟

من الأوصاف التي ينسبها المسيحيون ليسوع (عيسى) عليه السلام أنه "الألف والياء" و"البداية والنهاية" و"الأول والآخر". فنحن نقرأ في العهد الجديد: "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ" (رؤيا يوحنا ١:٨)، كما نقرأ: "كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ قَائِلاً: ١٠أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ١١". (رؤيا يوحنا ١ :١٠-١١)، كما نقرأ أيضا: "ثُمَّ قَالَ لِي٥ :قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا٦". (رؤيا يوحنا ٢١:٦)، كما نجد أيضا: "أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ". (رؤيا يوحنا ٢٢:١٣)

ولكن هل وصف يسوع نفسه بذلك حقا؟ وإن وصف نفسه بذلك، فهل هذا الوصف حقيقي أم مجازي؟ وما المقصود به؟ لنستعرض كل وصف من الأوصاف المذكورة ونكتشف هل جرت على لسان يسوع فعلا أم لا.

بالنسبة لوصف "الألف والياء"، ففي الحقيقة، هذا وصف لله تعالى وليس وصفا ليسوع. ولقد التبس الأمر على المسيحيين ولا أعلم ما السر في هذا الالتباس رغم وضوح القرينة. فهذا الوصف قد ورد وتكرر في رؤيا يوحنا اللاهوتي وظن المسيحيون أنه وصف ليسوع وإنما هو وصف لله تعالى ولا أدل على ذلك من قرينة السياق. فلنضع بعض الآيات الواردة في هذا الصدد في سياقها ونحدد على من تسري وتصدق.

٨"أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٨يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤيا يوحنا ١:٨)

"وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!. وَقَالَ لِيَ: اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ. ثُمَّ قَالَ لِي: قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا. مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا". (رؤيا يوحنا ٢١ :٥-٧)

إن الموصوف بأنه ."الأَلِفُ وَالْيَاءُ "موصوف أيضا بأنه "الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" و"الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ" و"وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا". وهذه الأوصاف لا تسري إلا على الله تعالى فقط بنص رؤيا بوحنا اللاهوتي نفسها.

فنقرأ في هذه الرؤيا: "وَالأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ حَوْلَهَا، وَمِنْ دَاخِل مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا، وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي. وَحِينَمَا تُعْطِي الْحَيَوَانَاتُ مَجْدًا وَكَرَامَةً وَشُكْرًا لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، يَخِرُّ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا قُدَّامَ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَسْجُدُونَ لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، وَيَطْرَحُونَ أَكَالِيلَهُمْ أَمَامَ الْعَرْشِ قَائِلِينَ: أَنْتَ مُسْتَحِق أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤيا يوحنا ٤ :٨-١١)

وفي موضع آخر، نقرأ: "ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّابِعُ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً: قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا الْجَالِسُونَ أَمَامَ اللهِ عَلَى عُرُوشِهِمْ، خَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا لله قَائِلِينَ: نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكْتَ" (رؤيا يوحنا ١١ :١٥-١٧)

كما نقرأ أيضا: "وَسَمِعْتُ مَلاَكَ الْمِيَاهِ يَقُولُ: عَادِلٌ أَنْتَ أَيُّهَا الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَكُونُ، لأَنَّكَ حَكَمْتَ هكَذَا. لأَنَّهُمْ سَفَكُوا دَمَ قِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَاءَ، فَأَعْطَيْتَهُمْ دَمًا لِيَشْرَبُوا. لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ! وَسَمِعْتُ آخَرَ مِنَ الْمَذْبَحِ قَائِلاً: نَعَمْ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! حَق وَعَادِلَةٌ هِيَ أَحْكَامُكَ" (رؤيا يوحنا ١٦ :٥-٧)

من هذه الآيات يتبين لنا أن الموصوف بأنه "الأَلِفُ وَالْيَاءُ" هو الله لأن "الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" و"الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ" و"وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا" أوصاف لا تسري إلا على الله بدلالة الآيات السابقة.

أما يسوع، فليس المقصود بالوصف لأنه ليس قادرا على كل شيء. فنحن لا نجد أحدا موصوفا بأنه "قادر على كل شيء" في العهد الجديد إلا الله سبحانه وتعالى. ولقد قال يسوع عن نفسه: "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ"". (يوحنا ٥:١٩)

كما أننا لا نجد أحدا موصوفا بأنه "جالس على العرش" في العهد الجديد إلا الله سبحانه وتعالى. أما يسوع، فهو موصوف بأنه جالس في يمين العرش. فنحن نقرأ: "وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلاَمِ فَهُوَ :أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هذَا ،قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ" (العبرانيين ٨:١) كما نقرأ أيضا" :نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ" (العبرانيين ١٢:٢)

وفضلا عن ذلك، لم يقل يسوع في أي موضع من العهد الجديد أنه يكون إلها لأحد. ولم يقل أحد ذلك في العهد الجديد سوى الله سبحانه وتعالى. فنحن نقرأ: "وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ: "إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. لِذلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِسًا فَأَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونَ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"". (٢ كورنثوس ٦ :١٦-١٨)

وكثيرا ما يذكر يسوع نفسه في العهد الجديد أن له إله. فكيف يكون يسوع إله إذا كان هو نفسه له إله؟ فنحن نقرأ: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ"". (متى 4:7)، كما نقرأ: "حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ !لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"". (متى

١٠:٤)، كما نقرأ أيضا: "وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى ٢٧:٤٦)

وبالنسبة لوصف "البداية والنهاية"، فلا يصح إلا أن يكون وصفا لله تعالى وحده لأن يسوع ليس موصوفا في العهد الجديد بأنه "البداية والنهاية" على الإطلاق وإنما وصف بأنه بداءة الخليقة أي أنه أول مخلوق. فنحن نقرأ: "شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا. الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ" (كولوسي ١ :١٢-١٥)، كما نقرأ أيضا: "وَاكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَةِ اللاَّوُدِكِيِّينَ: «هذَا يَقُولُهُ الآمِينُ، الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ، بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ "» (رؤيا يوحنا ٣:١٤)

وحتى هذا الوصف لا يصح ويعتبر من أهم المفاهيم الخاطئة لدى المسيحيين ولعل السبب في ذلك أن يسوع هو كلمة الله وأن العالم بدأ بكلمة من الله وهي "كن" وسينتهي بكلمة من الله أيضا. فنحن نقرأ: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ .كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ .فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ" (يوحنا ١ :١-٥)

ولكن يسوع ليس هو كل كلام الله الذي يبدأ وينهي به الأشياء وإنما هو كلمة ألقاها إلى مريم في وقت من الأوقات ولذلك أطلق عليه "كلمة الله" أي المبدوء خليقته بكلمة من الله بدون سبب آخر سواء كان طينا كآدم أو ضلع كحواء أو مني كسائر البشر.

وبالنسبة لوصف "الأول والآخر"، فهو أيضا لا يصح إلا أن يكون وصفا لله تعالى. وذلك ثابت بنص الكتاب المقدس ومتكرر في سفر إشعياء. فنحن نقرأ: "أَنْصِتِي إِلَيَّ أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ وَلْتُجَدِّدِ الْقَبَائِلُ قُوَّةً. لِيَقْتَرِبُوا ثُمَّ يَتَكَلَّمُوا .لِنَتَقَدَّمْ مَعًا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. مَنْ أَنْهَضَ مِنَ الْمَشْرِقِ الَّذِي يُلاَقِيهِ النَّصْرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ؟ دَفَعَ أَمَامَهُ أُمَمًا وَعَلَى مُلُوكٍ سَلَّطَهُ. جَعَلَهُمْ كَالتُّرَابِ بِسَيْفِهِ، وَكَالْقَشِّ الْمُنْذَرِي بِقَوْسِهِ. طَرَدَهُمْ. مَرَّ سَالِمًا

فِي طَرِيق لَمْ يَسْلُكْهُ بِرِجْلَيْهِ. مَنْ فَعَلَ وَصَنَعَ دَاعِيًا الأَجْيَالَ مِنَ الْبَدْءِ؟ أَنَا الرَّبُّ الأَوَّلُ، وَمَعَ الآخِرِينَ أَنَا هُوَ" (إشعياء ٤١ :١-٤)

كما نقرأ: "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: ٦أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي٧" (إشعياء ٤٤:٦)

ونقرأ أيضا: "اِسْمَعْ لِي يَا يَعْقُوبُ، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ: أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ .أَنَا أَدْعُوهُنَّ فَيَقِفْنَ مَعًا". (إشعياء ٤٨ :١٢-١٣)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف يكون يسوع بداءة الخليقة ولم تكن أمه قد خلقت بعد؟ فهل يسوع وجد قبل مريم؟ وإذا كان قد وجد قبل مريم، فلماذا خلقت مريم ولماذا ولدته؟

ومن العجيب أن سفر التكوين لا يذكر أي شيء عن يسوع. وإنما ذكر أن آدم هو بداءة الخليقة البشرية وبعده حواء. فأين كان يسوع إذا؟

فنحن نقرأ في العهد القديم: "هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ .٦ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تكوين ٢ :٤-٧)

كما نقرأ في العهد الجديد: "وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ، لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ" (تيموثاوس ٢ :١٢-١٣)

وعليه، أين كان يسوع عندما خلق آدم والعهد القديم يقول أنه لم يكن هناك إنسان قبل آدم؟

هل يسوع هو الحياة أو الواهب للحياة؟

كثيرًا ما نجد العهد الجديد يصف يسوع بأنه هو الحياة أو الواهب للحياة. فنحن نقرأ في العهد الجديد: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا ١١:٢٥)، ونقرأ أيضا: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا ١٤:٦)، كما نقرأ أيضا: "لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يوحنا ٦:٣٣)

ولكن هل هذا الوصف على حقيقته أم على سبيل المجاز؟ للأسف، التبس الأمر على المسيحيين فظنوا أنه طالما أن يسوع هو الحياة فهو الواهب لها على سبيل الحقيقة وبذلك، قد وقعوا في المحظور.

لقد شرح يسوع نفسه هذا الوصف في أكثر من موضع. وبين أنه وصف مجازي له وأن الله تعالى هو الواهب الحقيقي للحياة، وأن الحياة الأبدية في معرفة الله والإيمان به إلها حقيقيا واحدا والإيمان بيسوع رسولا من عند الله. فنقرأ في العهد الجديد: "تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ .أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا ١٧: ١–٥)

ونقرأ أيضا: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ. فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ .مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا" (يوحنا ٦ :٣٢–٣٥)

كما نقرأ أيضا: "وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ :أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ .كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسْمِ ابْنِ اللهِ" (رسالة يوحنا الأولى ٥: ١١-١٣)

وبين يسوع أن الحياة إنما تكون بحفظ الوصايا التي جاء بها جميع الأنبياء والمرسلين السابقين ولاسيما موسى الذي جاء يسوع مصدقا لما جاء به من التوراة. فنقرأ في العهد الجديد: "وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ .وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا .«قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"» (متى ١٩: ١٦-١٩)

وفي الواقع، يوضح العهد الجديد هذا الوصف في مواطن كثيرة. فنجد العهد الجديد يشير إلى أن حياة يسوع كانت نورا للناس بمعنى الهداية والهدى. فنحن نقرأ: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ .فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ" (يوحنا ١: ١-٥)

كما ذكر يسوع أن الحياة إنما تكون في سماع كلامه والإيمان بالله تعالى الذي أرسله والإيمان به رسولا من عند الله .فنحن نقرأ: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ :إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ". (يوحنا ٥: ٢٤-٢٥)

ونقرأ أيضا: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ .مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟"» (يوحنا ١١: ٢٥)

كما نقرأ أيضا: "لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يوحنا ٦: ٤٠)

ونقرأ كذلك: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يوحنا ٦:٤٧)

كما يبين العهد الجديد أن الحياة إنما تكون في الإيمان بيسوع عليه السلام. فنحن نقرأ: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ". (يوحنا ٣:٣٦)

كما أوضح يسوع أن الكلام الذي كان يتكلم به من عند الله تعالى فيه الحياة. فقال: "اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي .أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ" (يوحنا ٦:٦٣)

وأخيرا، لا يخفى على أحد أن الحياة في الاستجابة والامتثال لله ورسله بما فيهم موسى وعيسى (يسوع) ومحمد. وذلك ثابت بنص القرآن الكريم أيضا. يقول الله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (الأنفال ٨:٢٤)

هل يسوع هو الطريق والحق؟

هل يسوع هو الطريق؟

يوصف يسوع عليه السلام في العهد الجديد بأنه "الطريق". فنحن نقرأ: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا ١٤:٦)

في الحقيقة، لا غضاضة في وصف يسوع بهذا الوصف إذا وضع في سياقه الصحيح الذي ورد فيه في العهد الجديد وكما ورد على لسان يسوع نفسه، حيث يعلمنا العهد الجديد معنى كونه "الطريق."

فالمراد بوصفه بـ"الطريق" كونه المعلم الذي يعلم الناس الطريق إلى الله. ولقد تكرر هذا الوصف في هذا السياق أكثر من مرة في العهد الجديد.

فنحن نقرأ: "حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ .فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلاَمِيذَهُمْ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ»" (متى ٢٢: ١٥-١٦)

ونقرأ أيضا: "قَالَ لَهُ تُومَا: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي»" (يوحنا ١٤: ٥-٦)

كما نقرأ أيضا: "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ" (لوقا ١: ٧٦-٧٧)

وفي واقع الأمر، يصح وصف جميع أنبياء الله تعالى ورسله وكذلك الكتب المنزلة عليهم بأنها الطريق فهي تهدي الناس إلى طريق الله. ولقد ورد في القرآن الكريم وصفه بأنه "يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم". فنحن نقرأ:

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (الأحقاف ٤٦ :٢٩-٣٠)

هل يسوع هو الحق؟

يوصف يسوع عليه السلام في العهد الجديد بأنه "الحق". فنحن نقرأ: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا ١٤:٦)

وفي الحقيقة، إن الحق هو الله. فالحق اسم من أسمائه التي لا يمكن وصف غيره به إلا على سبيل المجاز وليس الحقيقة .فنحن نقرأ في العهد القديم: "فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلهَ الْحَقِّ" (مزمور ٣١:٥)، كما نقرأ أيضا: "وَلِذلِكَ يَنْتَظِرُ الرَّبُّ لِيَتَرَاءَفَ عَلَيْكُمْ. وَلِذلِكَ يَقُومُ لِيَرْحَمَكُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهُ حَقّ. طُوبَى لِجَمِيعِ مُنْتَظِرِيهِ". (إشعياء ٣٠:١٨)

ولقد بين يسوع نفسه أن الله تعالى هو الحق وأنه رسول من عند الله الحق. فنحن نقرأ: "فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ قَائِلاً: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ»" (يوحنا ٧:٢٨)

كما نقرأ أيضا: "إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ". (يوحنا ٨:٢٦)

ولقد بين يسوع نفسه أنه جاء ليشهد لله تعالى ولوحدانيته. فنحن نقرأ: "فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذًا مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي»". (يوحنا 18:37)

وعليه، فيسوع ليس الحق على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز. والمراد بوصفه بـ"الحق" هو كونه المعلم الذي يعلم الناس الطريق إلى الله بالحق. فنحن نقرأ: "حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ .فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلاَمِيذَهُمْ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ»". (متى ٢٢: ١٥-١٦)

ومما يقصد بوصف يسوع بـ"الحق" في العهد الجديد أنه لم يكن ليقل إلا الحق. فلقد جاء مصدقا لما جاء به موسى من الوصايا، داعيا إلى توحيد الله وحبه وإيتاء ذي القربى حقوقهم. ولقد صدقه في ذلك أحبار اليهود. فنحن نقرأ:

فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ:«أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ:«إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ .الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ .وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ» فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ:«لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ! (مرقس ١٢: ٢٨-٣٤)

ولقد أوضح يسوع نفسه عندما عزم اليهود على قتله؛ أنه ما كان إلا إنسانا يتكلم بالحق الذي سمعه من الله. فقال" :وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ" (يوحنا ٨: ٤٠)

هل يسوع هو المخلص؟

كثيرا ما يوصف يسوع في العهد الجديد بأنه المخلص. فنحن نقرأ: "فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ .لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ". (متى ١:٢١)، كما نقرأ أيضا: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ". (متى ١٨:١١)

ولكن هل يسوع هو المخلص على سبيل الحقيقة أم المجاز؟ وما هي ماهية الخلاص الذي جاء به؟

في الحقيقة، إن الله تعالى هو المخلص الحقيقي وفقا لما ورد بالعهد الجديد نفسه. والأدلة على ذلك كثيرة. وسنتناول بعضها فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

إن العهد الجديد ينقل عن السيدة مريم العذراء قولها "الله مخلصي" ولم تذكر أن ابنها المنتظر وضعه هو مخلصها .فنحن نقرأ: "فَقَالَتْ مَرْيَمُ: "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي" (لوقا ١: ٤٦-٤٧)

ويقول كاتب رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس "الله مخلصنا" ولم يقل "يسوع مخلصنا". فنحن نقرأ: "بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، بِحَسَبِ أَمْرِ اللهِ مُخَلِّصِنَا، وَرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَجَائِنَا". (١ تيموثاوس ١:١)، كما قال "مخلصنا الله" ولم يقل "مخلصنا يسوع" بل وصف يسوع بأنه وسيط بين الله والناس. فنحن نقرأ: "لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ. لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ تيموثاوس ٢ :٣-٥)

كما قال "الله الحي الذي هو مخلص جميع الناس" ولم يقل "يسوع الحي الذي هو مخلص جميع الناس". فنحن نقرأ" :صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُول. لأَنَّنَا لِهذَا نَتْعَبُ وَنُعَيَّرُ، لأَنَّنَا قَدْ أَلْقَيْنَا رَجَاءَنَا عَلَى اللهِ الْحَيِّ، الَّذِي هُوَ مُخَلِّصُ جَمِيعِ النَّاسِ، وَلاَ سِيَّمَا الْمُؤْمِنِينَ". (١ تيموثاوس ٤: ٩-١٠)

وترد عبارة "مخلصنا الله" أيضا في رسالة بولس الرسول إلى تيطس. فنحن نقرأ: "غَيْرَ مُخْتَلِسِينَ، بَلْ مُقَدِّمِينَ كُلَّ أَمَانَةٍ صَالِحَةٍ، لِكَيْ يُزَيِّنُوا تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ". (تيطس ٢: ١٠)، كما نقرأ: "وَإِنَّمَا أَظْهَرَ كَلِمَتَهُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ، بِالْكِرَازَةِ الَّتِي اؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهَا، بِحَسَبِ أَمْرِ مُخَلِّصِنَا اللهِ" (تيطس ١: ٣)

كما نقرأ أيضا: "لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلاً أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا .وَلكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (تيطس ٣ :٣-٥)

كما نجد عبارة "الإله الحكيم الوحيد مخلصنا" في رسالة يهوذا. فنحن نقرأ: "الإِلهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعَظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ" (يهوذا ٢٥)

ويشير العهد الجديد إلى أن الله هو المخلص وخلاصه جاء بفضل منه عن طريق المسيح يسوع. فنحن نقرأ: "فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا، وَلاَ بِي أَنَا أَسِيرَهُ، بَلِ اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (٢ تيموثاوس ١ : ٨-٩)

وفي مواضع كثيرة، ينسب العهد الجديد الخلاص إلى الله حتى وإن كان المقصود بهذا الخلاص يسوع نفسه. فنحن نقرأ على سبيل المثال: "كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً، وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ". (لوقا ٣: ٥-٦)، كما نقرأ أيضا: "فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَنَّ خَلاَصَ اللهِ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الأُمَمِ، وَهُمْ سَيَسْمَعُونَ!". (أعمال الرسل 28:28)

ولقد ورد في كلام يسوع حسبما نقله العهد الجديد ما يفيد أن الخلاص أمر لا يستطيعه أحد إلا الله. فنحن نقرأ" :وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: ٤إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْب إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!٥. فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ:٥ إِذًا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟٥ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ ٥: هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ٥" (متى ١٩: ٢٤-٢٦)

كما ورد في رسالة يعقوب ما مفاده أن الله تعالى وحده هو القادر على الخلاص وليس غيره. فنحن نقرأ: "وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ. فَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ؟" (رسالة يعقوب ٤:١٢)

ولقد بين يسوع نفسه في العهد الجديد أنه لم يكن إلا سببا للخلاص ووسيلته وواسطته فوصف نفسه بأنه "الباب". فقال" :أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى". (يوحنا ١٠:٩)

ولقد ورد بالعهد الجديد من الشواهد والبينات ما يثبت أن يسوع لم تكن لديه قدرة ذاتية على الخلاص وإنما افتقر في خلاصه هو إلى الله تعالى. فكيف يستطيع من عجز عن تخليص نفسه أن يخلص غيره؟ . وهذا مما يبدو فيه تناقض العهد الجديد واضحا جليا.

فنحن نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين ما يلي: "كَمَا يَقُولُ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ٦أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ٦. الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ" (العبرانيين ٥ :٦-٩)

والسؤال الآن هو كيف يستطيع يسوع تخليص غيره وقد عجز عن تخليص نفسه وجزع من الموت المؤدي إلى تخليص غيره من البشر؟

ولكن، إن سأل سائل وقال: لكن يسوع موصوف بأنه مخلص في العهد الجديد أكثر من مرة، فما توجيه ذلك؟

ونقول إن وصف يسوع بـ"المخلص" وصف مجازي وصف به غير واحد قبل يسوع. فهو ليس الموصوف الوحيد بهذا الوصف، فالعهد القديم ملئ بأناس وصفوا بأنهم مخلصين. فنحن نقرأ على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

"وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخَلِّصًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ، عُثْنِيئِيلَ بْنَ قَنَازَ أَخَا كَالِبَ الأَصْغَرَ .فَكَانَ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، وَقَضَى لإِسْرَائِيلَ. وَخَرَجَ لِلْحَرْبِ فَدَفَعَ الرَّبُّ لِيَدِهِ كُوشَانَ رِشَعْتَايِمَ مَلِكَ أَرَامَ، وَاعْتَزَّتْ يَدُهُ عَلَى كُوشَانِ رِشَعْتَايِمَ". (قضاة ٣: ٩–١٠)

"وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ لَهُمُ الرَّبُّ مُخَلِّصًا إِهُودَ بْنَ جِيرَا الْبَنْيَامِينِيَّ، رَجُلاً أَعْسَرَ. فَأَرْسَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِيَدِهِ هَدِيَّةً لِعِجْلُونَ مَلِكِ مُوآبَ". (قضاة ٣:١٥)

"وَكَانَ بَعْدَهُ شَمْجَرُ بْنُ عَنَاةَ، فَضَرَبَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سِتَّ مِئَةِ رَجُل بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ. وَهُوَ أَيْضًا خَلَّصَ إِسْرَائِيلَ". (قضاة ٣:٣١)

وأما عن ماهية الخلاص الذي جاء به يسوع، فقوامه الإيمان بالله تعالى ونبيه يسوع عليه السلام وفي ذلك الخلاص الحقيقي وفقا لنص العهد الجديد نفسه. فكثيرا ما أخبر يسوع في العهد الجديد أن الخلاص في الإيمان.

فنقرأ مثلا: "فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ»". (لوقا ٧:٥٠)، كما نقرأ: "ثُمَّ قَالَ لَهُ: «قُمْ وَامْضِ، إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ»". (لوقا 19:17)، كما نقرأ أيضا: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ". (أفسس 8:2)

كما يخبرنا العهد الجديد أن الخلاص أيضا في الإيمان بالإنجيل والعمل به. فنحن نقرأ: "وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ". (١ كورنثوس ١٥ :١-٢)

كما يعلمنا العهد الجديد أنه يلزم للخلاص عمل الصالحات، ولا يكفي مجرد الإيمان للخلاص. فنحن نقرأ: "مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟" (رسالة يعقوب ٢:١٤)

ومن الغريب أنه قد ورد بالعهد الجديد ما يبسط مفهوم الخلاص ويجعله مستساغا ومقبولا لدى جميع البشر. ففي العهد الجديد ما يفيد أن من رد خاطئا عن ضلال طريقه فقد خلص نفسا من الموت وستر كثرة من الخطايا. وهذا الخلاص قد يتأتى على يد يسوع وعلى يد غيره من صالحي البشر. فنحن نقرأ: "فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا". (رسالة يعقوب ٥:٢٠)

بل والأغرب من ذلك أن العهد الجديد يتيح مخرجا من الخطيئة الأصلية حتى لحواء وبناتها وذلك من خلال ولادة الأولاد والثبات على الإيمان والمحبة والتعقل. فنحن نقرأ: "وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي. وَلكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ". (١تيموثاوس ٢ :١٤-١٥)

والخلاصة أن الله تعالى هو المخلص الحقيقي وأن يسوع ليس مخلصا على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز وأن يسوع ليس الوحيد الموصوف بـ"المخلص" في الكتاب المقدس والخلاص ليس بدم يسوع ولا غيره وإنما بالإيمان بالله ورسله وكتبه وعمل الصالحات وما يسوع إلا سبب في هذا الخلاص.

هل يسوع كلمة الله؟

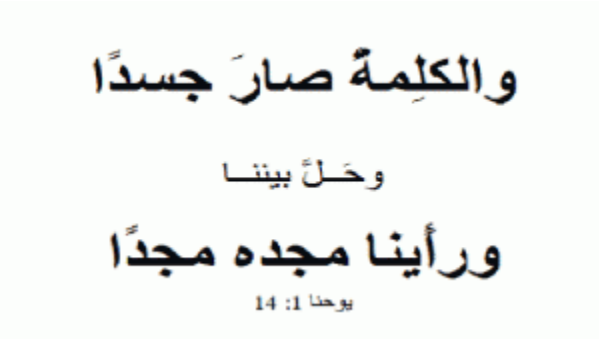

يوصف يسوع أحيانا في العهد الجديد بـ"الكلمة" أو "كلمة الله". فنحن نقرأ: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ". (يوحنا ١:١-٢)، كما نقرأ أيضا : "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا "(يوحنا ١:١٤)

ولكن ما المراد بكونه عليه السلام "كلمة الله"؟ وهل يعني ذلك أنه "الله" أو "ابن الله" كما يتوهم البعض؟

إن المراد بكون يسوع "كلمة الله" أنه خلق بكلمة من الله تعالى وهي محض كلمة "كن" فكان عليه السلام، بدون مادة للخلق كالطين بالنسبة لآدم أو ضلع بالنسبة لحواء أو مني بالنسبة لسائر البشر . فنحن نقرأ في إنجيل متى:

"أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ .فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ .فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ .لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ. وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا" (متى ١ :١٨-٢٣)

ونقرأ في إنجيل لوقا ما يلي:

"فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: 'لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ'...فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: 'كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟' فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: 'اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ .وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ'" (لوقا ١ : 30–37)

ولقد سمي يسوع "كلمة الله" أيضا لأنه كان يتكلم بكلام الله تعالى. فنحن نقرأ: "لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللهُ الرُّوحَ". (يوحنا ٣:٣٤)

كما نقرأ: "فَقَالُوا لَهُ: 'مَنْ أَنْتَ؟' فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ' أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أَيْضًا بِهِ. إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ'. وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ عَنِ الآبِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ' مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ'" (يوحنا ٨ :٢٥–٢٩)

كما نقرأ أيضا: "'أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ'. أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: ' أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ .'قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ' لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ'" (يوحنا ٨: 38–40)

"لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ". (يوحنا ١٢ :٤٩–٥٠)

"الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ" (يوحنا ١٤: ١٠)

"أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ" (يوحنا ١٤ :٢٣-٢٥)

وعن حقيقة كون يسوع "كلمة الله"، يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آل عمران ٣ :٤٥-٤٦)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (النساء ٤: ١٧١)

كلمة الله ولكن ليس ابن الله

إن كون يسوع "كلمة الله" لا يعني بالضرورة أنه "ابن الله" والدلائل على ذلك كثيرة من العهد الجديد نفسه. وسنتناول فيما يلي بالدحض والتفنيد ما ورد في آيات العهد الجديد سالفة الذكر مما يوهم بنوة يسوع لله تعالى.

فبالنسبة لما ورد من كون يسوع "مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"، فمردود عليه لأن يسوع ليس الشخص الوحيد الموصوف في العهد الجديد بأنه "من الروح القدس"، بل هناك من وصف بهذا الوصف بخلاف يسوع عليه السلام. فها هو العهد الجديد يخبرنا أن يحيى عليه السلام امتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمه.

فنحن نقرأ: "فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ ":لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا .وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (لوقا ١ :١٣-١٥)

كما يعلمنا العهد الجديد أن أليصابات أم سيدنا يحيى عليه السلام امتلئت أيضا من الروح القدس. فنحن نقرأ: "فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ " (لوقا ١:٤١)

والسؤال الآن: لماذا لا يتخذ المسيحيون يحيى عليه السلام ابنا لله كيسوع علما بأن كليهما وأن أم كليهما "من الروح القدس"؟

وبالنسبة لما ورد في قوله "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ"، فمريم ليست الوحيدة الموصوفة بهذا الوصف . فهذا الوصف وصف دارج في العهد الجديد ولا يترتب عليه أبوة أحد لأحد ولا بنوة أحد لأحد. فنحن نقرأ: "لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ". (أعمال الرسل ١:٨)

كما نقرأ: "فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ". (أعمال الرسل ١٠:٤٤)، كما نقرأ أيضا: "فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ، حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضًا فِي الْبُدَاءَةِ". (أعمال الرسل 15:11، ونقرأ: "وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ، فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ" (أعمال الرسل ١٩:٦)

والآن: هل يعني حلول الروح القدس على أحد في العهد الجديد بالضرورة معاشرته وتخصيبه وتمكينه من الولادة بدون أب بشري؟

وبالنسبة لما ورد من تخليص يسوع لشعبه "لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ"، فكما أوردنا في مقال منفصل، إن يسوع ليس هو المخلص الحقيقي والمخلص الحقيقي هو الله، وليس يسوع الإنسان الوحيد الموصوف

بـ"المخلص" في الكتاب المقدس، وإنما وصف بذلك الوصف عدة أشخاص في الكتاب المقدس، وما يسوع إلا مخلصا مجازيا لأنه سبب في خلاص شعبه ولهذا الخلاص مقتضيات أهمها الإيمان بالله وبرسله وكتبه والعمل بهذه الكتب مع عمل الصالحات.

وبالنسبة لما ورد من تسمية يسوع "عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا"، فلقد ذكر العهد الجديد في أكثر من موضع أن الله تعالى مع بعض البشر دون الإشارة إلى يسوع، أي أن الله تعالى قد يكون معنا بدون يسوع. وبذلك، لا يعني تفسير اسم عمانوئيل بـ"الله معنا" أن معية الله قاصرة على يسوع وحده وإنما الله تعالى مع الصالحين من عباده في كل زمان ومكان سواء وجد يسوع أم لم يوجد.

فعلى سبيل المثال، يخبرنا العهد الجديد أن الملاك أبلغ مريم أن "الرب معها" قبل حملها بيسوع عليه السلام، أي أن مريم كانت في معية الله قبل حملها وولادتها يسوع عليه السلام. فنحن نقرأ" :فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: "سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ."" (لوقا ١:٢٨)

كما يخبرنا العهد الجديد أن الله كان مع نبيه يوسف. فنحن نقرأ: "وَرُؤَسَاءُ الآبَاءِ حَسَدُوا يُوسُفَ وَبَاعُوهُ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ اللهُ مَعَهُ" (أعمال الرسل ٧:٩)

والسؤال الآن: لماذا لا يعتبر المسيحيون يوسف عليه السلام "ابن الله" بالرغم من أن الله كان معه مثل يسوع؟

وبالنسبة لوصف يسوع بأنه "الْقُدُّوسُ"، فهذا الوصف ليس قاصرا على يسوع في العهد الجديد، وإنما وصف به غيره. فنحن نقرأ في العهد الجديد: "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ". (لوقا ٢:٢٣)

وبالنسبة لقوله "الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ"، فيسوع ليس الإنسان الوحيد المشار إليه بـ"ابن الله "في العهد الجديد، وإنما وصف بهذا الوصف خلق كثير. فهو وصف مجازي ليس على حقيقته. وسنخصص مقالا منفردا لهذا الوصف إن شاء الله.

وبالنسبة لكلام يسوع بكلام الله، فيسوع لم يكن الإنسان الوحيد الذي تكلم بكلام الله وإنما تكلم بكلام الله الأنبياء والمرسلون والصالحون في كل زمان ومكان. فنحن نقرأ في العهد الجديد" :فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ". (متى ١٠ :١٩-٢٠)،

كما نقرأ: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ" (لوقا ١ : 68-70)

ولقد نقل العهد الجديد عن اليهود اعتقادهم في موسى عليه السلام أنه "كلمة الله". فنحن نقرأ: "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَمَّا هذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ" (يوحنا ٩-٢٩)

ومن ثم، فيسوع ليس الإنسان الوحيد الموصوف بأنه "كلمة الله" أو "المتكلم بكلام الله."

وهكذا، فإننا نؤمن بأن يسوع هو "كلمة الله" ولكن هذا الوصف لا يعني بالضرورة أن يسوع هو "ابن الله"، ولا يرد في العهد الجديد ما يدل على بنوة يسوع لله تعالى على سبيل الحقيقة. وأما ما ورد فيه بهذا المعنى، فهو مجاز في مجاز لم يرد به الحقيقة وفي العهد الجديد ما يوجهه ويجلي حقيقة المقصود به.

هل يسوع عبد الله؟

مما وصف به يسوع المسيح عليه السلام في الكتاب المقدس أنه "عبد الله"، ولكن للأسف حرفت كلمة "عبد" في معظم الترجمات العربية إلى كلمات توهم نفي عبودية السيد المسيح لله عز وجل مثل "فتى" و"ابن"، إلا أن كلمة "عبد" هي الترجمة الصحيحة لكلمة "بايس" اليونانية **παῖς** التي تعني العبد أو الخادم، أما كلمة فتى أو ابن، فمقابلها في اليونانية "هُوِيوُس" **υἱός**، والكلمات المستخدمة في هذا المقال للدلالة على عبودية المسيح أصلها اليوناني "بايس" (**παῖς**) وليس "هُوِيوُس" (**υἱός**).

فعلى سبيل المثال، نجد أن كلمة "ابن" في وصف السيد المسيح بأنه "ابن الإنسان" أصلها اليوناني "هُوِيوُس" (**υἱός**)، فنحن نقرأ: فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». (متى ٨: ٢٠)

وفيما يلي الأصل اليوناني للعدد السابق:

καὶ λέγει αὐτῷ ὁ Ἰησοῦς αἱ ἀλώπεκες φωλεοὺς ἔχουσιν καὶ τὰπετεινὰ τοῦ οὐρανοῦ κατασκηνώσεις ὁ δὲ υἱὸς τοῦ ἀνθρώπου οὐκ ἔχειποῦ τὴν κεφαλὴν κλίνῃ

فنلاحظ أن كلمة "ابن" هنا هي "هُوِيوُس" (**υἱός**)

وسنرى في الأمثلة التالية أن يسوع المسيح موصوف بأنه "بايس" (**παῖς**) أي عبد وليس "هُوِيوُس" (**υἱός**) أي ابن.

فنحن نقرأ في الترجمة الكاثوليكية: "لِيَتِمَّ ما قيلَ على لِسانِ النَّبِيِّ أَشَعْيا :هُوَذا عَبْدِيَ الَّذي اخترْتُه حَبيبِيَ الَّذي عَنهُ رَضِيت. سَأَجعَلُ رُوحي علَيه فيُبَشِّرُ الأُمَمَ بِالحَقّ". (متى ١٢:١٧-١٨)

وفيما يلي الأصل اليوناني للعدد السابق:

ἵνα πληρωθῇ τὸ ῥηθὲν διὰ Ἠσαΐου τοῦ προφήτου λέγοντος ἰδοὺ ὁ παῖς μου ὃν ᾑρέτισα ὁ ἀγαπητός μου εἰς ὃν εὐδόκησεν ἡψυχή μου θήσω τὸ πνεῦμά μου ἐπ᾽ αὐτόν καὶ κρίσιν τοῖς ἔθνεσινἀπαγγελεῖ

وعلى الرغم من الخلاف بين المسيحيين والمسلمين على هذه الأعداد، فيذهب المسيحيون إلى أن المراد بها هو السيد المسيح ويذهب المسلمون إلى أن المراد بها هو النبي محمد، إلا أننا إذا سلمنا بأن المراد بها هو السيد المسيح فهذا يعني أنه عبد لله إذ نلاحظ أنه موصوف بأنه "بايس" (παῖς) أي عبد.

والأمثلة على ذلك كثيرة في العهد الجديد، فنحن نقرأ:

"إِنَّ إِلهَ إِبراهيمَ وإِسحقَ ويَعْقوب، إِلهَ آبائِنا، قد مَجَّدَ عَبدَه يسوع الَّذي أَسلَمتُموه أَنتمُ وأَنكَرتُموه أَمامَ بيلاطُس، وكانَ قد عَزَمَ على تَخلِيَةِ سَبيلِه" (أعمال الرسل ٣:١٣)

ὁ θεὸς Ἀβραὰμ καὶ ὁ θεὸς Ἰσαὰκ καὶ ὁ θεὸς Ἰακώβ ὁ θεὸς τῶνπατέρων ἡμῶν ἐδόξασεν τὸν παῖδα αὐτοῦ Ἰησοῦν ὃν ὑμεῖς μὲνπαρεδώκατε καὶ ἠρνήσασθε κατὰ πρόσωπον Πιλάτου κρίναντος ἐκείνουἀπολύειν

ونقرأ أيضا: "فمِن أَجلِكم أَوَّلاً أَقامَ اللهُ عَبدَه وأرسَله لِيُبارِكَكم، فيَتوبَ كُلَّ مِنكُم عن سَيِّئاتِه" (أعمال الرسل ٣:٢٦)

ὑμῖν πρῶτον ἀναστήσας ὁ θεὸς τὸν παῖδα αὐτοῦ ἀπέστειλεν αὐτὸνεὐλογοῦντα ὑμᾶς ἐν τῷ ἀποστρέφειν ἕκαστον ἀπὸ τῶν πονηριῶν ὑμῶν

كما نقرأ أيضا: "تحالَفَ حَقًّا في هذهِ المَدينةِ هِيرودُس وبُنْطيوس بيلاطُس والوَثَنِيُّونَ وشُعوبُ إِسرائيلَ على عَبدِكَ القُدُّوسِ يسوعَ الَّذي مَسَحتَه" (أعمال الرسل ٤:٢٧)

συνήχθησαν γὰρ ἐπ᾽ ἀληθείας ἐν τῇ πόλει ταύτῃ ἐπὶ τὸν ἅγιον παῖδά σου Ἰησοῦν ὃν ἔχρισας Ἡρῴδης τε καὶ Πόντιος Πιλᾶτος σὺνἔθνεσιν καὶ λαοῖς Ἰσραήλ

ونقرأ: "باسِطًا يدَكَ لِيَجرِيَ الشِّفاءُ والآياتُ والأَعاجيبُ بِاسمِ عَبدِكَ القُدُّوسِ يَسوعَ" (أعمال الرسل ٤:٣٠)

ἐν τῷ τὴν χεῖρά σου ἐκτείνειν σε εἰς ἴασιν καὶ σημεῖα καὶ τέραταγίνεσθαι διὰ τοῦ ὀνόματος τοῦ ἁγίου παιδός σου Ἰησοῦ

وفي الحقيقة، لم يقتصر وصف السيد المسيح بأنه "عبد" في اليونانية على كلمة "بايس" (παῖς)، وإنما وصف أيضا بأنه "دولوس" (δοῦλος)، وهي كلمة يونانية تعني "عبد" أيضا، فنحن نقرأ: "هو الَّذي في صُورةِ اللهِ لم يَعُدَّ مُساواتَه للهِ غَنيمَة بل تَجرَّدَ مِن ذاتِه مُتَّخِذًا صُورةَ العَبْد وصارَ على مِثالِ البَشَر وظَهَرَ في هَيئَةِ إِنْسان" (فيلبي ٢ :٥-٧)

ὃς ἐν μορφῇ θεοῦ ὑπάρχων οὐχ ἁρπαγμὸν ἡγήσατο τὸ εἶναι ἴσα θεῷ ἀλλὰ ἑαυτὸν ἐκένωσεν μορφὴν δούλου λαβών ἐν ὁμοιώματιἀνθρώπων γενόμενος καὶ σχήματι εὑρεθεὶς ὡς ἄνθρωπος

ومن ثم، فإن يسوع المسيح عبد الله بنص الكتاب المقدس لاسيما عهده الجديد، وهي حقيقة تحاول الترجمات العربية للكتاب المقدس إخفاءها وطمسها ولكن تثبتها المخطوطات الأصلية للكتاب المقدس المكتوبة باللغة اليونانية.

هل يسوع نبي الله أو رسول الله؟

مما وصف به يسوع عليه السلام في العهد الجديد أنه "نبي الله" وكذلك "رسول الله". وستناول فيما يلي بالشرح والتحليل والتفصيل بعض المواضع التي وُصف فيها يسوع بهذين الوصفين:

هل يسوع نبي الله؟

ينقل العهد الجديد عن يسوع المسيح وصفه لنفسه بأنه "نبي"، فنحن نقرأ على سبيل المثال قول يسوع المسيح لحوارييه" :مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. مَنْ يَقْبَلُ نَبِيًّا بِاسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَقْبَلُ بَارًّا بِاسْمِ بَارٍّ فَأَجْرَ بَارٍّ يَأْخُذُ (متى ١٠ :٤٠-٤١)

كما نقرأ أيضا: وَلَمَّا جَاءَ إِلَى وَطَنِهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي مَجْمَعِهِمْ حَتَّى بُهِتُوا وَقَالُوا» :مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟ أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ كُلُّهَا؟» فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ». (متى ١٨ :٥٤-٥٨)

كما ينقل العهد الجديد عن سيدنا زكريا عليه السلام وصفه ليسوع بأنه "نَبِيَّ الْعَلِيِّ" فقال: "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ". (لوقا ١:٧٦)

وينقل العهد الجديد عن امرأة وصفها ليسوع بأنه "نَبِيٌّ" حال مخاطبتها له ولم ينكر عليها ذلك أو ينفي ذلك .فنقرأ: "قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: ٩"يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ !"٩ (يوحنا ٤:١٩)

ويقتبس العهد الجديد نبوءات وردت في العهد القديم؛ بمقدم نبي بعد موسى والمقصود بها بحسب كتّاب العهد الجديد هو يسوع عليه السلام. فنحن نقرأ: "وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ...فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ". (أعمال الرسل ٣ :٢٠-٢٣)

كما نقرأ أيضا: "هذَا هُوَ مُوسَى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ". (أعمال الرسل ٣٧:٧)

والحقيقة أن هذه الآيات لا تتنبأ بيسوع وإنما بمحمد صلى الله عليه وسلم لقرينتين: القرينة الأولى أن موسى لم يقل "منكم" أي من بني إسرائيل وإنما قال "من إخوتكم" وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل وهم العرب. أما القرينة الثانية فهي أن موسى قال "وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ"، ولم تحدث إبادة لمن كفر بيسوع من اليهود، وإنما حدثت إبادة فعلا لمن كفر بمحمد وخانه من اليهود.

وعلى افتراض أن هذه الآيات تتنبأ بيسوع، فنجد أن موسى قال "نَبِيًّا مِثْلِي"، أي أن المسيحيين يؤمنون بأن يسوع نبي الله وفقًا لما ورد بالعهد الجديد نفسه.

هل يسوع رسول الله؟

لقد ورد وصف يسوع بـ"الرسول" صريحا في العهد الجديد. فنحن نقرأ: "إِذَنْ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ الَّذِينَ اشْتَرَكْتُمْ فِي الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، تَأَمَّلُوا يَسُوعَ: الرَّسُولَ وَرَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي الإِيمَانِ الَّذِي نَتَمَسَّكُ بِهِ. فَهُوَ أَمِينٌ لِلهِ فِي الْمُهِمَّةِ الَّتِي عَيَّنَهُ لَهَا، كَمَا كَانَ مُوسَى أَميناً فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ فِي بَيْتِ اللهِ كُلِّهِ " (العبرانيين ٣ :١-٢) وتجدر الإشارة إلى أن وصف "يسوع رسول الله" يرد كاملا بهذا الموضع في النسخ غير العربية من الكتاب المقدس. (انقر هنا للاطلاع على نسخ الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية)

وكثيرا ما نجد يسوع عليه السلام يشير إلى الله تعالى من قد أرسله ولم يقل أنجبه، مما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن يسوع رسول أرسله الله تعالى، وأن بنوته لله تعالى بنوة مجازية، ولو كانت حقيقية لقال يسوع "أنجبني" بدلا من "أرسلني" ولبين طبيعة هذه البنوة.

فنحن نقرأ على سبيل المثال: "مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. مَنْ يَقْبَلُ نَبِيًّا بِاسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَقْبَلُ بَارًّا بِاسْمِ بَارٍّ فَأَجْرَ بَارٍّ يَأْخُذُ، (متى ١٠ :٤٠-٤١)

كما نقرأ: "فَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَهُمْ: ٥"مَنْ قَبِلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلاَدٍ مِثْلَ هذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي٦". (مرقس ٩ :٣٦-٣٧)

كما نقرأ أيضا: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ " (لوقا ٤-١٨)

كما أننا نجد العهد الجديد أيضا يسوي بين بعض الأنبياء وبين يسوع في أخص الخصائص التي اختص بها يسوع. فعلى سبيل المثال، يصف العهد الجديد سيدنا موسى بأنه "أقيم رَئِيسًا وَقَاضِيًا" و "أَرْسَلَهُ اللهُ رَئِيسًا وَفَادِيًا"، وكل هذه الصفات مما جرت عادة العهد الجديد بقصرها على يسوع وحده. فنحن نقرأ: "هذَا مُوسَى الَّذِي أَنْكَرُوهُ قَائِلِينَ: مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا؟ هذَا أَرْسَلَهُ اللهُ رَئِيسًا وَفَادِيًا بِيَدِ الْمَلاَكِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ فِي الْعُلَّيْقَةِ". (أعمال الرسل ٧:٣٥)

كما يسوي العهد الجديد بين موسى وعيسى من حيث أن كلا منهما أدى المهمة التي أسندت له. ولا تكون هذه التسوية إلا بين نبي ونبي وليس نبي وابن لله. فنحن نقرأ: "إِذَنْ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ الَّذِينَ اشْتَرَكْتُمْ فِي الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، تَأَمَّلُوا يَسُوعَ: الرَّسُولَ وَرَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي الإِيمَانِ الَّذِي نَتَمَسَّكُ بِهِ. فَهُوَ أَمِينٌ لِلهِ فِي الْمُهِمَّةِ الَّتِي عَيَّنَهُ لَهَا، كَمَا كَانَ مُوسَى أَميناً فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ فِي بَيْتِ اللهِ كُلِّهِ" (العبرانيين ٣ :١-٢)

ومما يدل على أن يسوع رسول مرسل من عند الله تعالى ما ورد في العهد الجديد من مساواته بين حواريه وبين نفسه فيما يعتقد أنه يختص به وحده وهكذا لم يتبق في العهد الجديد ما يميز يسوع ويرفعه فوق مستوى البشر. فنحن نقرأ: "اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي". (لوقا ١٠:١٦)

كما نقرأ: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: الَّذِي يَقْبَلُ مَنْ أُرْسِلُهُ يَقْبَلُنِي، وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي". (يوحنا ١٣:٢٠)، كما نقرأ أيضا" :كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ" (يوحنا ١٧:١٨)، ونقرأ: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا". (يوحنا 20:21)

كما نقرأ أيضا: "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي". (يوحنا ١٧ :٢١-٢٣)

ومما ينفي بنوة يسوع الحقيقية لله تعالى ويؤكد نبوته ورسالته ما جرى على لسانه من التأكيد المتكرر لعدم قدرته على فعل أي شيء من نفسه ورد كل الأفعال التي قام بها لله تعالى الذي أرسله .فنحن نقرأ: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي". (يوحنا ٥:٣٠)

ومما يتعارض مع بنوة يسوع الحقيقية لله ويثبت نبوته ورسالته أنه كان يؤكد مرارا وتكرارا أن الهدف من حياته هو التعريف بالله تعالى والدعوة إليه إلها واحدا حقيقيا. فلو كان يسوع ابن الله حقا، لدعى إلى عبادته مع الله مثلا لكونه ابن الله. أما دعوته عليه السلام إلى توحيد الله تعالى ليس لها سوى معنى واحد وهو توحيد الألوهية والربوبية لله تعالى ونفي الولد عنه تعالى لأن ذلك يتعارض مع ما دعا إليه يسوع نفسه. فنحن نقرأ: "وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ". (يوحنا ١٧:٣)

ومما يدل على أن يسوع هو رسول الله أن رسالته اقتصرت على بني إسرائيل على حد قوله، ولو كان ابن الله على سبيل الحقيقة لشملت رسالته العالم كله لأن الله هو رب العالم كله وابنه ينبغي أن يرسل للعالم كله وليس لشعب معين. فنحن نقرأ: "وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ»" (متى ١٥ :٢٢-٢٦)

هل يسوع في الله والله في يسوع؟

في العهد الجديد، تتعدد المواضع التي ينقل عن يسوع قوله أنه "في الله" وأن "الله فيه". فنحن نقرأ: "وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ". (يوحنا 38:10)

كما نقرأ: "أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا". (يوحنا ١٤: 10–11)

ولكن هل تعني الآيات السابقة أن الله في يسوع أو أن يسوع في الله أو أن يسوع هو الله أو أنه ابن الله على سبيل الحقيقة؟

في الواقع، ليست الآيات السابقة على حقيقتها وإنما هي على سبيل المجاز. ولقد ورد الدليل على ذلك على لسان يسوع نفسه أيضًا. فإننا نجد بعض الآيات في العهد الجديد تبين أن الله في غير يسوع وأن من هو غير يسوع في الله أيضا.

ففي الآيات التالية، نجد أن يسوع يقول أن حواريه في الله كما أنه في الله.

فنحن نقرأ: "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ

وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي". (يوحنا ١٧ :٢١-٢٣)

كما نقرأ: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ" (يوحنا ١٤:٢٠)، كما نقرأ أيضا: "لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ". (متى ١٠:٢٠)،

ونقرأ أيضا: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ". (رومية ٨ :٩-١١)

"وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ: ٤إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا٥". (٢ كورنثوس ٦:١٦)

وإذا كان الله في الحواريين والحواريون في الله أيضا كيسوع، فهل يعني ذلك أنهم الله أو أنهم أبناء الله؟ بالطبع لا، لاسيما وأن العهد الجديد ينقل أيضا عن يسوع قوله أنه في أتباعه وأن أتباعه فيه. فنحن نقرأ: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ". (يوحنا ٦:٥٦)، كما نقرأ: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ". (يوحنا 14:20)

كما نقرأ أيضا: "أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ. إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ" (يوحنا ١٥ :١-٧)

ويذكر العهد الجديد أن المسيح كائن في أتباعه حتى بعد رفعه. فنحن نقرأ: "جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ، أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ، إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ؟" (٢ كورنثوس ١٣:٥)، كما نقرأ: "أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ". (يوحنا ١٧ :٢٥-٢٦)

كما نجد حواريي يسوع يقولون في العهد الجديد تارة أن الله فيهم وتارة أن يسوع فيهم أيضا. فنحن نقرأ: "وَلكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا" (غلاطية ١ :١٥-١٦)

كما نقرأ: "غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ: «أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا قَبْلاً، يُبَشِّرُ الآنَ بِالإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ». فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ فِيَّ". (غلاطية ١ :٢٣-٢٤)، كما نقرأ أيضا: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غلاطية ٢:٢٠)، ونقرأ: "لِكَيْ يَزْدَادَ افْتِخَارُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ فِيَّ، بِوَاسِطَةِ حُضُورِي أَيْضًا عِنْدَكُمْ". (فيلبي ١:٢٦)،

والسؤال الآن هو: هل الآيات السابقة تعني أن الحواريين أو أتباع المسيح هم أبناء الله أو أبناء المسيح على سبيل الحقيقة لأنه فيهم وهم فيه؟

في الحقيقة، ليس المقصود بكون الله في يسوع وكون يسوع في الله أن يسوع هو الله أو حتى أنه ابن الله وإنما المقصود قرب يسوع من الله وشدة اتصاله به حيث أنه نبي ورسول من أنبيائه ورسله .ويدل على ذلك استحالة كون الله في يسوع وكونه ساكنًا في حواريي أو أتباع يسوع وإنما ذلك كناية عن قرب الحواريين من الله إلها وكذلك من يسوع معلما وشدة تعلقهم وارتباطهم بهما. ومعنى كون الله في يسوع أو في حواريه أو أتباعه معية الله ونصره وتأييده لهم.

هل يسوع والله واحد؟

وردت بعض الآيات في العهد الجديد توهم أن الله ويسوع واحد. فنحن نقرأ: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ". (يوحنا ١٠: ٣٠)

وحتى نفهم المقصود بكون يسوع والله واحد، علينا أن نضع الآية السابقة في سياقها الكامل. فنحن نقرأ:

«أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ». فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةً لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ». فَطَلَبُوا أَيْضًا أَنْ يُمْسِكُوهُ فَخَرَجَ مِنْ أَيْدِيهِمْ. (يوحنا ١٠ :٢٩-٣٩)

في الآيات السابقة، يوضح يسوع في معرض حديثه معنى كونه هو والله واحد وكون الآب فيه وكونه في الآب والمقصود بكونه ابن الله. ويبين أن معنى كونه هو والآب واحد وأن الله فيه وأنه في الله أنه يعمل أعمال الله أي أعمالا يستحسنها الله. ويوضح أنه كما وصف اليهود بأنهم آلهة لأنهم صارت إليهم كلمة الله، فهو أيضا موصوف بأنه ابن الله لأنه قد صارت إليه كلمة الله وكان يعمل بأعمال الله.

ومما يستدل به المسيحيون أيضًا على أن يسوع والله واحد الآية التالية:

"لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي .وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي". (يوحنا ١٧ :٢١-٢٣)

والعجيب أن محل الشاهد أعلاه هو نفسه محل الدليل على نفي هذا الشاهد. فالآية السابقة تخبرنا أنه ليس فقط الله ويسوع واحدا بل الله ويسوع والحواريون واحدًا. ومثله الآية التالية: "وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ" (يوحنا ١٧:١١)

كما نقرأ: "لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً" (العبرانيين ٢:١١)

كما نقرأ أيضا: "لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ" (أفسس ٢ :١٤-١٨)

ونقرأ: "مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ .رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ" (أفسس ٤ :٣-٦)

من الواضح أن هذا الكلام ليس على حقيقته وإنما ورد على سبيل المجاز. ولقد ورد مثله على سبيل المجاز أيضًا في العهد الجديد. فهو يخبرنا أن المسيح وأتباعه واحد وأن أجسادهم أعضاؤه. فنحن نقرأ : "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا! أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنِ الْتَصَقَ بِزَانِيَةٍ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ؟ لأَنَّهُ يَقُولُ:" يَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا ."وَأَمَّا مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ". (١ كورنثوس ٦: 15–17)

وكثيرًا ما يشير العهد الجديد إلى أن أتباع المسيح واحد فيه. فنحن نقرأ: "فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ". (١ كورنثوس ١٠:١٧)، كما نقرأ: "فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ". (رومية ١٢ :٤–٥)

كما نقرأ أيضا: "فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ وَرَأَيْتُكُمْ، أَوْ كُنْتُ غَائِبًا أَسْمَعُ أُمُورَكُمْ أَنَّكُمْ تَثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ، مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ" (فيلبي ١:٢٧)

وفي الإصحاح الثاني عشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس شرح لمعنى كون أتباع المسيح واحدًا فيه.

وكذلك، يخبرنا العهد الجديد أن الزوج والزوجة يصيران جسدًا واحدًا. فنحن نقرأ: "وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا". (متى ١٩:٥)، وفي الحقيقة، لا يصير الزوج والزوجة جسدًا واحد على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز وذلك كناية عن القرب والتقارب بين الزوجين.

وعليه، فليس المقصود بكون الله ويسوع واحدا أن يسوع هو الله أو حتى أنه ابن الله وإنما المقصود قرب يسوع من الله وشدة اتصاله به حيث أنه نبي ورسول من أنبيائه ورسله. ويدل على ذلك استحالة كون الله ويسوع والحواريين واحدًا وإنما ذلك كناية عن قرب الحواريين من يسوع وشدة تعلقهم وارتباطهم به. ومعنى كون الله ويسوع أو حواريه أو أتباعه واحدًا هو معية الله ونصره وتأييده لهم.

ولقد ورد بالعهد الجديد ما يثبت أن الله واحدٌ مشار إليه مجازا بالأب وأن يسوع ما هو إلا معلم. فنحن نقرأ" :وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ". (متى ٢٣ :٨-١٠)

كما ورد في العهد الجديد أيضًا تأكيد لوحدانية الله تعالى ووصف يسوع بالوسيط. فنحن نقرأ: "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ تيموثاوس ٢:٥)

كما ورد على لسان يسوع نفسه أن الله واحد ولقد صدقه على ذلك أحبار اليهود. فنحن نقرأ: "فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟" فَأَجَابَهُ يَسُوعُ:" إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ :اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ"...فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ:" جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ"". (مرقس ١٢ :٢٨-٣٢)

وأخيرًا، وردت في العهد الجديد آيات كثيرة تثبت وحدانية الله تعالى وتنزهه عن الشريك والولد. فنحن نقرأ: "لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ" (رومية ٣-٣٠)، كما نقرأ: "فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِدًا". (١ كورنثوس ٨:٤)، كما نقرأ أيضا: "وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ" (غلاطية ٣:٢٠)، ونقرأ: "أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ". (يعقوب ٢:١٩)، "وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ. فَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ؟" (يعقوب ٤:١٢)

هل يسوع ابن الله؟

كثيرًا ما يوصف يسوع في العهد الجديد بأنه "ابن الله". فنحن نقرأ: "وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: 'أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟' قَالَ لَهُ يَسُوعُ: 'أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ'" (متى ٢٦ :٦٣-٦٤)

كما نقرأ: "وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ" (لوقا ١ :٣١-٣٢)

ولكن هل يعني ذلك أن يسوع "ابن الله" على سبيل الحقيقة؟ في الواقع، هذا الوصف وصف مجازي متكرر في الكتاب المقدس عامة وفي العهد الجديد منه خاصة. فنجد أنه قد وصف بهذا الوصف خلق كثير.

فعلى سبيل المثال، وصفت الملائكة في العهد الجديد بأنهم أبناء الله أيضًا. فنحن نقرأ: "وَلكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ، إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضًا، لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ، إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ". (لوقا ٢٠ : 36-35)

كما وصف الحواريون في العهد الجديد بأنهم "أبناء الله" وأن الله "أباهم" وذلك على لسان يسوع نفسه. فنحن نقرأ" :لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ". (متى ٥:٤٥)

كما وصف أتباع يسوع في العهد الجديد بأنهم أبناء الله. فنحن نقرأ: "وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ". (يوحنا ١١ :٥١-٥٢) كما نقرأ: "لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلاطية ٣:٢٦)

كما نقرأ أيضًا: "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: يَا أَبَا الآبُ. إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ". (غلاطية ٤:٤-٧)

وكما وصف أتباع يسوع في العهد الجديد بأنهم "أبناء الله" وصفوا أيضا بأنهم "إخوة يسوع". فنحن نقرأ: "لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ". (رومية ٨:٢٩)

كما نقرأ أيضا: "لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ. لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً»:أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ». وَأَيْضًا:«أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ». وَأَيْضًا»:هَا أَنَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ .«فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ. لأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلاَئِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا للهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ" (العبرانيين ٢ :١٠-١٧)

ووصف صانعو السلام في العهد الجديد بأنهم "أبناء الله". فنحن نقرأ: "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ". (متى ٥:٩) كما وصف المنقادون بروح الله في العهد الجديد أيضًا بأنهم "أبناء الله". فنحن نقرأ: "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ" (رومية ٨:١٤)

ولقد وصف بنو إسرائيل في العهد القديم بأنهم "ابن الله". فنحن نقرأ: "فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ". (الخروج ٤:٢٢)

بل إن الأمم الأخرى خلاف بني إسرائيل قد وصفوا بأنهم "أبناء الله" أيضًا. فنحن نقرأ: "وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ: لَسْتُمْ شَعْبِي، أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ". (رومية ٩:٢٦)

وهكذا، فيسوع ليس المخلوق الوحيد الموصوف في العهد الجديد بأنه "ابن الله" مما يؤكد أن ذلك الوصف وصف مجازي في حقه عليه السلام. وهناك من القرائن التي لا تعد ولا تحصى في العهد الجديد ما يمنع من كون يسوع "ابن الله" على سبيل الحقيقة. وفيما يلي بعض منها:

القرائن المانعة من كون يسوع "ابن الله" على سبيل الحقيقة

ابن داود

كما وصف يسوع في العهد الجديد بأنه "ابن الله"، وصف أيضًا بأنه "ابن داود". فكما أن يسوع ليس "ابن داود" على سبيل الحقيقة وإنما أمه هي التي من نسل داود، فهو كذلك ليس ابن الله على سبيل الحقيقة.

فنحن نقرأ: "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ" (متى ١:١)، كما نقرأ: "وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ" (لوقا ١ :٣١-٣٢)

نبي العلي

بالرغم من أن العهد الجديد يبشر بيسوع ويدعوه "ابن العلي"، نجد أن العهد الجديد نفسه ينقل عن سيدنا زكريا عليه السلام وصفه ليسوع بأنه "نبي العلي" وليس "ابن العلي". فنحن نقرأ" :وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ". (لوقا ١:٧٦)

العجز البشري

كثيرًا ما عبر يسوع عن عجزه البشري وافتقاره إلى الله تعالى في العهد الجديد مما ينفي كونه "ابن الله" على سبيل الحقيقة. فلو كان لله ابن، ما كان هذا الابن عاجزا معترفًا بعجزه .فابن الله لابد أن يكون كلي القدرة كأبيه. وإلا، فما صح أن يوصف هذا الكائن بأنه "ابن الله."

فنحن نقرأ: "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ»". (يوحنا ٥:١٩)

الجهالة البشرية

كثيرا ما عبر يسوع عن جهالته البشرية في العهد الجديد وبين حتى في حالة علمه عن استمداد علمه من الله تعالى. فنحن نقرأ: "وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ". (مرقس ١٣:٣٢)

كما نقرأ: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ»". (يوحنا ٨:٢٨)

تأويل قصة الميلاد

لم يرد بقصة ميلاد يسوع الواردة في العهد الجديد ما يؤكد ثبوت بنوة يسوع لله تعالى. وبالنسبة لما ورد في قوله "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ"، فمريم ليست الوحيدة الموصوفة بهذا الوصف. هذا الوصف وصف دارج في العهد الجديد ولا يترتب عليه أبوة أحد لأحد ولا بنوة أحد لأحد. فنحن نقرأ: "لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ". (أعمال الرسل ١:٨)

كما نقرأ: "فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ". (أعمال الرسل ١٠:٤٤)، كما نقرأ أيضا: "فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ، حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضًا فِي الْبُدَاءَةِ". (أعمال الرسل 15:11، ونقرأ: "وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ، فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ" (أعمال الرسل ١٩:٦)

وبالنسبة لما ورد من تسمية يسوع "عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا"، فلقد ذكر العهد الجديد في أكثر من موضع أن الله تعالى مع بعض البشر دون الإشارة إلى يسوع، أي أن الله تعالى قد يكون معنا بدون يسوع. وبذلك، لا يعني تفسير اسم عمانوئيل بـ"الله معنا" أن معية الله قاصرة على يسوع وحده وإنما الله تعالى مع الصالحين من عباده في كل زمان ومكان سواء وجد يسوع أم لم يوجد.

فعلى سبيل المثال، يخبرنا العهد الجديد أن الملاك أبلغ مريم أن "الرب معها" قبل حملها بيسوع عليه السلام، أي أن مريم كانت في معية الله قبل حملها وولادتها يسوع عليه السلام. فنحن نقرأ" :فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: ٥سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ.٥" (لوقا ١:٢٨)

كما يخبرنا العهد الجديد أن الله كان مع نبيه يوسف. فنحن نقرأ: "وَرُؤَسَاءُ الآبَاءِ حَسَدُوا يُوسُفَ وَبَاعُوهُ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ اللهُ مَعَهُ" (أعمال الرسل ٧:٩)

وبالنسبة لوصف يسوع بأنه "الْقُدُّوسُ"، فهذا الوصف ليس قاصرًا على يسوع في العهد الجديد، وإنما وصف به غيره. فنحن نقرأ في العهد الجديد: "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ". (لوقا ٢:٢٣)

شيوع لغة المجاز

كثيرا ما استخدم يسوع المجاز في العهد الجديد مما يدل على شيوع المجاز في أغلب ما أخبر به بما في ذلك كونه "ابن الله". فنحن نقرأ: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ»". (يوحنا ٦:٥٣)

كيف شرح يسوع وصفه بأنه "ابن الله"؟

بيّن يسوع أن معنى كونه "ابن الله" أنه عمل أعمال الله أي أعمالا يستحسنها الله. ووضح أنه كما وصف اليهود بأنهم آلهة لأنهم صارت إليهم كلمة الله، فهو أيضا موصوف بأنه "ابن الله" لأنه قد صارت إليه كلمة الله وكان يعمل بأعمال الله. فنحن نقرأ:

أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَل مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ» :أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةً لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. (يوحنا ١٠ :٣٢-٣٧)